

اعتذارات الأئمة

تأليف

خليل بن عثمان الجبور السبيعي

مصدر هذه المادة :







كلمة مضيئة

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه "البيان والتبين"[1]:

"اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من السلاطة والهذر، كما نعوذ بك من العي والحصر، وقديما ما تعوذوا بالله من شرهما، وتضرعوا إلى الله في السلامة منهما".اهـ

---

(١) (٣/١) ط١٤٠٥هـ،

هذا هو الصواب في تسميته وما عداه "فخطأ محض" كما في النسخ الخطية للكتاب، ولغة أيضا:

فالبيان: الفصاحة والإيضاح.

والتبين: (بياء واحدة مثناة تحتية) فمعناه: ظهور الشيء بخلاف (التبيين) "بيائين تحتية مثناة" فمعناه واحد لا غير هو الإيضاح. فلا يستقيم اسم الكتاب: إيضاح الإيضاح!!

وينظر مختار الصحاح ص ٢٩ وغيره.

مقدمة [١]

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى.

فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة.

فهم مختلفون في الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم.

ويتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتنة المضلين [٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه، وصفاته، وهو السميع البصير.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى، ونبيه المجتبى، فتح الله به أعينا عُميا، وقلوبا غُلفا، وآذانا صُما، فهدى به من الضلالة، وبصر به من الغي، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا

(١) أفاد شيخ الإسلام أن الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ ألف الرد المذكور وهو في السجن، كما في المنهاج (٦٩/٣ ط بولاق) و (٢٧٣/٥) تحقيق رشاد سالم ــ رحمه الله ــ .

(٢) اقتباس من خطبة الإمام أحمد ــ رحمه الله في رده على "الزنادقة والجهيمة".

يزيغ عنها إلا هالك.

صلى الله عليه وعلى أهله وآله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طُلب وجدَّ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه، واقتناه الكاسب، لأن شرفه ينم على صاحبه، وفضله ينمي عند طالبه، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٩].

فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل، لما قد خص به العالم. وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمرا، أو يفهم عنه زجرا.

- وقد قال علي بن أبي طالب — رضي الله عنه —: الناس أبناء ما يحسنون.

- وقال مصعب بن الزبير لابنه: تعلم العلم، فإن يكن لك مال كان لك جمالا، وإن لم يكن لك مال كان لك مالا.

- وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني! تعلموا العلم، فإن كنتم سادة فُقْتُم، وإن كنتم وسطا سُدْتم، وإن كنتم سُوقةً عشتم.

- وقال بعض الأدباء: العلم أفضل خلف، والعمل به أكمل شرف.

- وقال بعض الحكماء: تعلم العلم، فإنه يقومك ويسددك صغيرا، ويقدمك ويسوِّدك كبيرا، ويصلح زيفك، وفسادك، ويُرغم

عدوك وحاسدك، ويقوِّم عوَجك وميلك، ويُصحح همَّتك وأملك.

● وقال علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ : قيمة كل امرئ ما يُحسن.

ثم لو تأملت ــ رعاك الله ــ لعلمت أن باعثك لطلبك للعلم أمران:

١- الرغبة في ثواب الله طلبا لمرضاته.

٢- الرهبة من عقاب الله لترك أوامره.

فإذا اجتمع عندك رغبة ورهبة، أدَّتا إلى كُنْه العلم، وحقيقة الزهد.

● وقد قالت الحكماء: أصل العلم الرغبة، وثمرته السعادة، وأصل الزهد الرهبة، وثمرته العبادة.

فإذا اقترن الزهد والعلم، فقد تمت السعادة، وعمَّت الفضيلة، وإن افترقا فيا ويح مُفْترقَين، ما أضر افتراقهما، وأقبح انفرادهما!

● وقال بعض الحكماء: الفقيه بغير ورع كالسراج يضيء البيت ويحرق نفسه[1].

ولو تقصينا ما ورد في العلم وفضله، لطال المَقام ولخرجنا عن المُقام. وإن أردت السراج المنير لتأصيلك في العلم، والمضي قدما إلى الأمام على نهج السلف الكرام فعليك بـ:

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين/ الماوردي، مقدمة الكتاب.

- الفقيه والمتفقه/ للخطيب البغدادي.

- جامع بيان العلم وفضله/ لابن عبد البر.

- تذكرة السامع والمتكلم/ ابن جماعة. وغيرها كثير مما كتبه السلف، أو من تبع سننهم من الخلف شبرا بشبر، وذراعا بذراع، والخطوة على الخطوة!!

فكلام السلف، وموصوله من الخلف، هو الزُّبَد تسمو به الأخلاق، وتترفع أن تكون من الأعلاق.

فكلام السلف قليل كثير البركة،

وكلام الخلف كثير قليل البركة!

وشتان بين الزُّبَد والزَّبَد. ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً**﴾.

ولذا:

كان واجبا على طالب العلم ـ وعلى الراقم أوجب ـ لزوم الأدب، والأدب هو الدين كله!!

وإليك ما قاله ابن القيم رحمه الله. ولا تستطله، فهو مُعلم لحياتك العامة والخاصة:

قال رحمه الله تعالى: "والأدب هو الدين كله!؟ فإن ستر العورة من الأدب. والوضوء وغسل الجنابة من الأدب. والتطهر من الخبث من الأدب. حتى يقف بين يدي الله تعالى طاهرا. ولهذا كانوا يستحبون أن يتجمل الرجل في صلاته للوقوف بين يدي ربه.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله يقول: أمـــر الله بقدر زائد على ستر العورة في الصلاة. وهو أخذ الزينـــة، فقـــال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آَدَمَ خُـــذُوا زِينَـــتَكُمْ عِنْـــدَ كُـــلِّ مَسْـــجِدٍ**﴾ [الأعراف: ٣١].

فعلق الأمر بأخذ الزينة، لا بستر العورة، إيذانا بأن العبد ينبغي له: أن يلبس أزين ثيابه، وأجملها في الصلاة.

وكان لبعض السلف حلة بمبلغ عظيم من المال، وكان يلبســـها وقت الصلاة، ويقول: ربي أحق من تَجمَّلت له في صلاتي.

ومعلوم: أن الله سبحانه يحب أن يرى أثر نعمته على عبـــده، لاسيما إذا وقف بين يديه، فأحسن ما وقف بين يديـــه بملابســـه ونعمته التي ألبسه إياها ظاهرا وباطنا.

ومن الأدب: نهى رسول الله ﷺ المصلي:«**أن يرفع بصـــره إلى السماء**».

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ قدس الله روحه ـــ يقول: هذا من كمال أدب الصلاة: أن يقف العبد بين يدي ربه مُطرقـــا، خافضا طرفه إلى الأرض، ولا يرفع بصره إلى فوق.

قال: والجهمية ـــ لما لم يفقهوا هذا الأدب ولا عرفوه ـــ ظنوا أن هذا دليل: أن الله ليس فوق سماواته على عرشه كما أخبر به عن نفسه، واتفقت عليه رسله، وجميع أهل السنة.

قال: وهذا من جهلهم، بل هذا دليل لمن عقل عن الرسول ﷺ

على نقيض قولهم.

إذ من الأدب من الملوك: أن الواقف بين أيـــديهم يطـــرق إلى الأرض ولا يرفع بصره إليهم. فما الظن بملك الملوك سبحانه؟

وسمعته يقول في نهيه ﷺ عـــن قـــراءة القـــرآن في الركـــوع والسجود: إن القرآن هو أشرف الكلام، وهو كلام الله، وحالتـــا الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد، فمن الأدب مـــع كلام الله أن لا يقرأ في هاتين الحـــالتين، ويكـــون حـــال القيـــام والانتصاب أولى به.

ومن الأدب مع الله: أن لا يستقبل بيته ولا يستدبره عند قضاء الحاجة، كما ثبت عن النبي ﷺ ، في حديث أبي أيوب، وســـلمان، وأبي هريرة، وغيرهم رضي الله عنهم.

والصحيح: أن هذا الأدب يعم الفضاء والبنيان، كما ذكرنا في غير هذا الموضع.

ومن الأدب مع الله في الوقوف بين يديه في الصـــلاة: وضـــع اليمنى على اليسرى حال قيام القراءة.

ففي الموطأ لمالك عن سهل بن سعد: "أنه من السنة"، "وكـــان الناس يؤمرون به".

ولا ريب أنه من الأدب الوقوف بين يدي الملوك والعظمـــاء، فعظيم العظماء أحق به.

ومنها: السكون في الصلاة وهو الدوام الذي قال الله تعالى فيه:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾.

قال عبد الله بن المبارك عن ابن أبي لهيعة قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير أخبره قال: سألنا عقبة بن عامر عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ أهم الذين يصلون دائما؟

قال: لا، ولكن إذا صلى لم يلتفت عن يمينه، ولا عن شماله ولا خلفه [1].

قلت: ـ ابن القيم ـ هما أمران: الدوام عليها، والمداومة عليها. فهذا الدوام، والمداومة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ وفسر "الدوام" بسكون الأطراف والطمأنينة.

- وأدبه في استماع القراءة، أن يُلقي السمع وهو شهيد.

- وأدبه في الركوع: أن يستوي ويعظم الله تعالى، حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم منه. ويتضاءل ويتصاغر في نفسه، حتى يكون أقل من الهباء.

- والمقصود: أن الأدب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهرا وباطنا.

ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء:

---

(١) أخرج هذا الأثر: عبد بن حميد وابن جرير (٢٩/٨٠) وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. الدر المنثور (٧/٢٨٤ ط دار الفكر).
وله طريق آخر عند ابن جرير (٢٩/٨٠) وإسناده به حسن.

معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب ويكره، ونفس مستعدة قابلة لينة، متهيئة لقبول الحق علما وعملا وحالا. والله المستعان.

- وأما الأدب مع الرسول ﷺ : فالقرآن مملوء به فرأس الأدب معه: كمال التسليم له، والانقياد لأوامره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة خيال باطل، يسميه معقولا.

أو يحمله شبهة أو شكًّا، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع، والذل، والإنابة، والتوكل.

فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما:

توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول.

فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره، على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته، ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه، وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة: أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم، وإلا حرفه عن مواضعه ويسمى تحريفه: تأويلا وحملا. فقال نؤوله ونحمله.

فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب على الإطلاق ــ ما خلا الشرك بالله ــ خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

ولقد خاطبت يوما بعض أكابر هؤلاء فقلت له:

سألتك بالله، لو قدر أن الرسول ﷺ حي بين أظهرنـــا، وقـــد واجهنا بكلامه وبخطابه، أكان فرضا علينا أن نتبعه مـــن غـــير أن نعرضه على رأي غيره، وكلامه ومذهبه أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم؟

فقال: بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه.

فقلت: فما الذي نسخ هذا الفرض عنا؟ وبأي شيء نسخ؟

فوضع إصبعه على فيه وبقي باهتا متحيرا وما نطق بكلمة.

هذا أدب الخواص معه، لا مخالفة أمره، والشرك بـــه، ورفـــع الأصوات، وإزعاج الأعضاء بالصلاة عليه والتسليم، وعزل كلامه عن اليقين، وأن يستفاد منه معرفة الله، أو يتلقى منه أحكامه.

بل المعول في باب معرفة الله: على العقول المنهوكـــة المـــتحيرة المتناقضة.

وفي الأحكام: على تقليد الرجال وآرائها، والقرآن والسنة: إنما نقرؤهما تبركا!!

لا أن نتلقى منهما أصول الدين ولا فروعه.

ومن طلب ذلك ورامه، عاديناه وســـعينا في قطـــع دابـــره، واستئصال شأفته.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِـــكَ

هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ إلى قوله: **﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾**.

والناصح لنفسه العامل على نجاتها: يتدبر هذه الآيات حق تدبرها، ويتأملها حق تأملها، وينزلها على الواقع، فيرى العجب ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا: "فالحديث لك واسمعي يا جارة"!! والله المستعان.

ومن الأدب مع الرسول ﷺ : أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف، حتى يأمر هو، وينهى ويأذن كما قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** وهذا باقٍ إلى يوم القيامة و لم يُنسخ.

فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته، كالتقدم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم.

قال مجاهد ـ رحمه الله: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ .

وقال أبو عبيدة: تقول العرب لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي: لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه.

وقال غيره: لا تأمروا حتى يأمر، ولا تنهوا حتى ينهى.

ومن الآداب معه: أن لا ترفع الأصوات فوق صوته، فإنه سبب لحبوط الأعمال، ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبوطها.

ومن الآداب معه: أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره، قال تعالى: **﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾** وفيه

قولان للمفسرين:

- أحدهما: أنكم لا تدعونه باسمه، كما يدعو بعضكم بعضا، بل قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، فعلى هذا: المصدر مضاف إلى المفعول، أي دعاءكم الرسول.

- الثاني: أن المعنى: لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا، إن شاء أجاب وإن شاء ترك، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بدٌّ من إجابته، و لم يسعكم التخلف عنها البتة، فعلى هذا: المصدر مضاف إلى الفاعل، أي دعاؤه إياكم.

ومن الأدب معه: أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع، من خطبة، أو جهاد، أو رباط، لم يذهب أحد منهم مذهبا في حاجته حتى يستأذنه. كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ**﴾. فإذا كان هذا مذهبا مقيدا بحاجة عارضة، لم يوسع لهم إلا بإذنه، كيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين: أصوله وفروعه دقيقة وجليلة؟ هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه؟ ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾.

ومن الأدب معه: أن لا يُستشكل قوله، بل تُستشكل الآراء لقوله، ولا يُعارض نص بقياس، بل تُهدر الأقيسة وتُلقى لنصوصه. ولا يُحرف كلامه عن حقيقته لخيال يُسميه أصحابه معقولا. نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول، ولا يُوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحد، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ ، وهو عين

الجرأة.

وأما الأدب مع الخلق: فهو معاملتهم على اختلاف مراتبهم، بما يليق بهم، فلكل مرتبة أدب، والمراتب فيها أدب خاص.

فمع الوالدين: أدب خاص، وللأب منهما: أدب هو أخص، ومع العالِم: أدب آخر، ومع السلطان أدب يليق به، وله مع الأقران أدب يليق بهم، ومع الأجانب: أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي أُنسه، ومع الضيف: أدب غير أدبه مع أهل بيته.

ولكل حال أدب: فللأكل آداب، وللشرب آداب، وللركوب والدخول والخروج والسفر والإقامة والنوم آداب، وللبول آداب، وللكلام آداب، وللسكوت والاستماع آداب.

وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه.

وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره.

فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استُجلب حرمانها بمثل قلة الأدب.

فانظر إلى الأدب مع الوالدين: كيف نَجَّى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة؟ والإخلال به مع الأم ـــ تأويلا وإقبالا ـــ على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة؟

- وتأمل أحوال كل شقي ومغتر ومدبر: كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان؟!

- وانظر قلة أدب عوف بن مالك مع خالد: كيف حرمه السلب بعد أن بَرَدَ بيديه؟!

- وانظر أدب الصديق رضي الله عنه مع النبي ﷺ في الصلاة أن يتقدم بين يديه، فقال: "ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم".

كيف أورثه مقامه والإمامة بالأمة بعده؟!

فكان ذلك التأخر إلى خلفه وقد أومأ إليه أن: "اثبت مكانك" جمزا وسعيا إلى قدام؟

بكل خطوة إلى وراء مراحل إلى قدام، تنقطع فيها أعناق المطي! والله أعلم" انتهى كلامه ــ رحمه الله ــ (المدارج ٢/٣٨٤).

وعلى ضوء ما تقدم:

فإن الأدب على كل حال واجب ومع العلماء أوجب. كأن من يهمز ويلمز، ويقدح، ويتنقص، ما بلغه قوله ﷺ : «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعرف لعالمنا حقه**»(١).

بل وصل الأمر إلى أعظم من ذلك:

فإجلال العالم لعلمه، ولما يحفظه من كتاب الله، وكذا حافظ كتاب الله جل وعلا ــ إجلال لله جل وعلا.

---

(١) حديث صحيح. ينظر لبسط تخريجه، مسند أبي يعلى (٣٤٧٦/١٩١/٦).

ــ فيا ترى ــ ماذا يقال عمن لا يُجِلُّ الله جل وعلا؟

بدافع الجهل المركب، أو الهوى، أو الكبر، أو الحسد، أو غمط الناس حقوقهم، أو الانتقاص منهم، أو التهوين من شأنهم ومكانتهم بماذا؟

باسم التحقيق العلمي النزيه!!

أو البحث العلمي المتجرد من الأهواء!!

أو الرد ــ المبطن بالعصبية المقيتة على اختلاف ألوانها ــ انتقاما، أو استهتارا، لا وصولا للحق، وبيانه.

- أو ثالثة الأثافي، والمصيبة والتي لا لعا لها:

بعض من كتب في الماجستير أو الدكتوراه، وتجرأ الغمر على الطعن والثلب ورأينا كذا!! والذي نراه نحن كذا!!

ورأينا يخالف ما عليه المصنف ووهِم في ذلك وهو عندنا خطأ!! و: (أنا، وإنا، ونحن، وعندنا، والذي نراه، .... ونحن نعتقد، وهذا عندنا جائز، وهذا غير جائز...) من عبارات الغرور والتعالي، المشعرة بالنقص، وإظهار أمراض خوافي النفوس ما يجد الإنسان أمامه إلا أن يتمثل بقول الإمام عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي (ت٤٢٢هـ):

متى تصل العطاش إلى ارتواء
إذا استقت البحار من الركايا
ومن يثني الأصاغر عن مراد
وقد جلس الأكابر في الزوايا

وإن تَرَفَّعَ الوضعاء يوماً
على الرفعاء من إحدى الرزايا
إذا استوت الأسافل والأعالي
فقد طابت منادمة المنايا [(١)]

وإن أردت أن تجمع قاموساً للسباب والشتام، والتعالي — والمؤمن — ليس بالطعان ولا الفاحش البذيء، ولا بالمتشدق المتفيهق.

- فمر كمرورك في وادي محسر — فيما سطره الغزالي — وسيسأل عن ذلك يوم القيامة — في "السنة بين أهل الفقه والحديث" مات في عقر دار التوحيد، وجر ثموة العالم كله، بين ظهراني قوم هو لهم شانئ، ومُبغض، مُتهكم تارة، ساخر تارة أخرى.... فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وهكذا فليكن الأدب مع العلماء ورعاية حقوقهم ومنزلتهم. وكأننا نسينا قول النبي ﷺ فيما صح عنه: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة في رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم لقياه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عليها بها سخطه إلى يوم القيامة**».

قال علقمة الراوي عن بلال بن الحارث المزني — رضي الله

(١) وفيات الأعيان (٣/٣١٩/ رقم ٤٠٠).

عنه: كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه!!

فأين نحن من هذا الحديث!!

اقرأه مرة وأخرى، وتأمل وتمعن، فهناك ملكان وحساب ــ والله الموعد ــ .

وللفائدة: ينظر (٤/٤٢٢/ رقم ١٥٧٨ ــ الروض البسام)، فقد حرر الشيخ الفاضل جاسم الفهيد الدوسري، عبارة "وسكت عنه الذهبي".

وعليك ــ يا رعاك الله ــ بكتابين نفيسين للغاية اشتملا على علم وفائدة، ومنهم يوصلك إلى الجادة ــ إن شاء الله تعالى ــ :

أولاهما: أخطار على المراجع العلمية/ للعالم الفاضل عثمان عبد القادر الصافي.

الآخر: قواعد التعامل مع العلماء/ للعالم الفاضل: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

وكتب حذر منها العلماء/ مشهور حسن سلمان (١/١١ فما بعدها).

والله أعلم.

منهج الرسالة

* هذه الرسالة ــ أو سمها النصيحة ــ ليس لي فيها كبير أمر، بل ضم النظير إلى نظيره، وإفادة نفسي أولا وإخواني من طلبة العلم.

* لم أراع فيها ترتيبا معيناً ــ لا سِنًّا ولا زمناً ــ بل وقفت عليه ما دونته وهكذا. وسميته تجوزاً ــ اعتذارات الأئمة ــ .

ثم أعلم أيها اللبيب:

إن ما جهلتُ أكثر مما علمتُ، وما تركتُ أكثر مما سطرتُ، وحسبي أني فتحت بابا، وسننت سنة حسنة، فإن كان التوفيق حليفي فمن الوهاب المنان، وإن كان خطأ فمن نفسي والشيطان.

واستغفر الله وأتوب إليه على كل حال.

فقد ركبت مركبا لست له بأهل، واقتحمت ساحة لست من رجالها، ولا فرسانها. فإن صادفت هذه الورقات صوابا فكن لي داعيا ــ ولك بمثل ــ وإن خطأ فكن لي عاذرا لا عاذلا.

فرحم الله من رأى خللا فسدده، وخطأ فأصلحه، وصوابا فأذاعه، وخيرا فأشاعه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وأهله وآله أجمعين.

وكتب

خليل بن عثمان الجبور السبيعي

١٤١٧هـ

ص.ب ١٥٣٣٠٥

الرياض: ١١٧١٦

(١)

اعتذار الإمام سليمان بن عبد القوي الطوفي ت٧١٦هـ

قال ــ رحمه الله ــ كما في الصقعة الغضبية (ص٢١٦) ط العبيكان.

وسأنقل كلامه ثم اعتذاره لجماله:

"وإني آنست في عصرنا ذي الأعاصر، وزمننا ذي المغريات والغوادر، قوما يدعون الفضل دعوى مجردة، ويجمعون العلم في دفاتر مجلدة، ينتحلون حلية الفضل، وكل منهم عاطل، ويسهرون بالبطولة فيها بالمخرفة، والباطل، ينكرون فضل العربية، وتأخذهم عليها عصبية الشعوبية، حتى لقد اتخذوه سخريا، ونبذوه وراءهم ظهريا، وعدوه ظمًا لا ريًّا، وحكموا بأن الخلو منه أحسن أثاثا ورئيا،

فضلالًا لهذه الأحلام ما أسخفها، وخطأ لهذه الأحكام، ما أعداها عن الحق وأحنفها!

أيظنون أن ضياء الشمس تُخفيه المكابرة؟!

أم يحسبون أن اليقين يستحيل شكًّا بالمنابرة؟!!

كلا، بل هي عقول عن التمييز معقولة، وقرائح مقروحة، كرهت أوطان النباهة فهي إلى بلاد البلادة منقولة ــ

ــ إلى أن قال ــ :

"على أني مع ذلك لست من أهله المبرزين، ولا من كُماة حومته المعلمين، لكني ممن أهتدي إلى جهتهم بأنوارهم، ونحا نحوهم باقتفاء آثارهم، فتحاميت لهم من جور الطغام، وغرت على نفائس جواهر تيجان ملكهم من إزراء السرقة العوام، فسددت إليهم سهام الحق، وأظهرت في رميهم صناعة الرشق. وأرجو من الله تعالى أن أكون في ذلك كالثُّعلي لا تنمي رميته، لا كالكسعي تجني عليه مع أصابته ندامته، وعلى الله المعول، وإليه المتحول، وله الشكر على ما قد حبانيه وخوَّل".اهـ

(٢)

اعتذار الإمام أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني

قال ــ رحمه الله ــ كما في مجمع الأمثال (٦/١ ط حلبية ١٣٩٨هـ):

"وأنا أعتذر إلى الناظر في هذا الكتاب من خلل يراه، أو لفظ لا يرضاه، فأنا كالمنكر لنفسه، المغلوب على حسه وحدسه، منذ حط البياض بعارضي رحاله، وحال الزمان على سوادهما فأحاله، وأطار من وكر هامتي خُدَارِيِّة، وأنحى على عود الشباب فمصَّ ريَّه، وملكت يد الضعف زمام قواي، وأسلمني من كان يخطب في حبل هواي، وكأني أنا المعني بقول الشاعر:

وهت عزماتك عند المشيب ... وما كان من حقها أن تهي

وأنكرت نفسك لما كبرت

فــــلا هــــي أنـــــت ولا أنـــــت هــــي
وإن ذكـــــــرت شـــــــهوات النفـــــــوس
فمـــــا تشـــــتهي غـــــير أن تشـــــتهي

وأعيذه أن يرد صنو منهله التقاطا ويشرب عذب زلاله نقاطا، ثم يتحزم لتغوير منابعه بالتعبير، ويتشمر لتكدير مشاعره بالتغيير، بل المأمول أن يسد خلله، ويصلح زَلَله، فقلما يخلو إنسان من نسيان، وقلم من طغيان".اهــ

(٣)

اعتذار الإمام أحمد بن عبد المؤمن القيسي ت٦١٩هــ

قال ــ رحمه الله ــ كما في شرح المقامات (١/١٠ ط حلبية ١٣٩٨هــ):

"وقد بذلت في الخدمة جهدي، وبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس ما عندي، ولم أتعاط قياما بكل الواجب، ولا وفاء بجميــع الحق الراتب، فالقول يقصر عن التحصيل، وليس إلى مطاولة الطود ومكاثرة اليم من سبيل".اهــ.

(٤)

اعتذار الإمام الخطابي حمد بن محمد البستي ت٣٨٨هــ

قال ــ رحمه الله ــ كما في الحديث (١/٤٩ ط أم القــرى ١٤٠٢هــ):

"وكل من عثر منه على حرف، أو معنى يجب تغييره، فــنحن

نناشده الله في إصلاحه وأداء حق النصيحة فيه، فإن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه، ونحن نسأل الله ذلك، ونرغب إليه في دركه إنه جواد وهوب".

(٥)

اعتذار الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير ت٦٠٦هـ

قال ـ رحمه الله ـ كما في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١١ ط المكتبة الإسلامية):

"وما أحسن ما قال الخطابي، وأبو موسى رحمة الله عليهما في مقدمتي كتابيهما، وأنا أقول أيضا مقتديا بهما: كم يكون قد فاتني من الكلمات الغريبة، التي تشتمل عليها أحاديث رسول الله ﷺ، وأصحابه وتابعيهم رضي الله عنهم، جعلها الله سبحانه ذخيرة لغيري، يظهرها على يده ليُذْكَر بها.

ولقد صدق القائل الثاني: كم ترك الأول للآخر ـ إلى أن قال ـ ومع هذا: فإن المصيب في القول والفعل قليل، بل عديم، ومن الذي يأمن الغلط والسهو والزلل؟ نسأل الله العصمة والتوفيق.

وأنا أسأل من وقف على كتابي هذا، ورأى فيه خطأ أو خللا، أن يصلحه، وينبه عليه، ويوضحه، ويشير إليه، حائزا بذلك مني شكرا جميلا، ومن الله أجرا جزيلا" أ.هـ.

(٦)
اعتذار للإمام شمس الدين أبي عبد الله المشهور بابن قيم الجوزية ت١٥٧هـــ

قال ـــ رحمه الله ـــ كما في حادي الأرواح (ص٣٣ ط دار ابن كثير ١٤١١هـــ):

"والله يعلم ما قصدت، وما بجمعه وتأليفه أردت، فهـــو عنـــد لسان كل عبد وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، وكـــان جـــل المقصود منه بشارة أهل السنة، بما أعد الله لهـــم في الجنـــة، فـــإهم المستحقون البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونعم الله علـــيهم باطنة وظاهرة، وهم أولياء الرسول وحزبه، ومن خرج عن ســـنته فهم أعدائه وحربه، لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللـــوام، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد مـــن الأنـــام، والســـنة أجـــل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأيا منتهيا، أو بحثا جدليا، أو خيالا صوفيا، أو تناقضا كلاميا، أو قياسا فلسفيا، أو حكما سياسيا!!

فمن قدم عليها شيئا من ذلك فباب الصواب عليه مســـدود، وهو عن طريق الرشاد مصدود.

فيا أيها الناظر فيه لك غُنْمه، وعلى مؤلفه غُرْمه، ولك صفوه، وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تُعرض عليك، وبنات أفكـــاره تُزف إليك، فإن صادفت كفؤا كريما لم تعدم منه إمساكا بمعروف أو تسريحا بإحسان، وإن كان غيره فالله المستعان، فما كـــان مـــن

صواب فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله.

(٧)

اعتذار الإمام أحمد بن محمد القسطلاني ت٩٢٣هـ

قال ـ رحمه الله ـ كما في المواهب اللدنية (٤/٦٩٤ ط المكتب الإسلامي):

"وإلى الله أضرع أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، مخلصا من شوائب الرياء ودواعي التعظيم، وأن ينفعني به والمسلمين والمسلمات في المحيا والممات.

سائلا من وقف عليه من فاضل أنار الله بصيرته، وجَبَل على الإنصاف سريرته، أن يُصلح لِحلمه عثاري وزللي، ويسدد بسداد فضله خطئي وخللي، فالكريم يُقيل العثار، ويقبل الاعتذار، خصوصا عذر مثلي، مع قصر باعه في هذه الصناعة، وكساد سوقه بما لديه من مزجاة البضاعة، وما ابتلي به من شواغل الدنيا الدنية، والعوارض البدنية، وتحمله من الأثقال التي لو حملها رَضْوَى لتضعضع، أو أنزلت على ثبير لخشع وتصدع، لكنني أخذت غفلة الظلام الغاسق، والليل الواسق، فسرقته من أيدي العوائق، والليل يعين السارق، واستفتحت مغاليق المعاني بمفاتيح فتح الباري، واستخرجت من مطالب كنوز العلوم نفائس الدراري، حامدا الله تعالى على ما أنعم وألهم، وعلم ما لم أكن أعلم.

مصليا مسلما على رسوله محمد أشرف أنبيائه، وأفضل مبلغ

لأنبائه، وعلى آله وأصحابه وخلفائه، صلاة لا ينقطع مـــددها، ولا يغني أمدها" أ.هـــ.

(٨)

اعتذار للإمام العلامة ابن القيم الجوزية ت١٥٧هـــ

قال ـــ رحمه الله ـــ كما في شفاء العليل (ص٦ ط دار المعرفة ١٣٩٨هـــ):

"وهذا حين الشروع في المقصود، فما كان من صواب فمن الله وحده هو المانٌّ به، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان. والله بريء منه ورسوله،

فيا أيها المتأمل له، الواقف عليه، لك غُنمه، وعلى مؤلفه غُرمه، ولك فائدته، وعليه عائدته، فلا تعجل بإنكار ما لم يتقـــدم لـــك أسباب معرفته، ولا يحملنك شنآن مؤلفه وأصحابه على أن تحرم ما فيه من الفوائد، التي لعلك لا تظفر بها في كتاب، ولعل أكثر مـــن تعظمه ماتوا بحسرتها و لم يصلوا إلى معرفتها، والله يقسم فضله بـــين خلقه بعلمه وحكمته، وهو العليم الحكيم، والفضل بيد الله يؤتيـــه من يشاء والله ذو الفضل العظيم" أ.هـــ.

(٩)

اعتذار آخر للإمام ابن القيم الجوزية ت١٥٧هـــ

قال ـــ رحمه الله ـــ كما في طريق الهجرتين (ص١٠ ط قطر ١٣٩٧هـــ):

"فيا أيها القارئ له والناظر فيه، هذه بضاعة صاحبها المزجــاة مسوقة إليك، وهذا فهمه وعقله معروض عليك، لك غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، ولك ثمرته، وعليه عائدته، فإن عدم منك حمدا وشكرا فلا يعدم منك عذرا. وإن أبيت إلا الملام فبابه مفتوح.

وقد استأثر الله بالثناء وبالحمد وولى الملامة الرجلا والله المسئول أن يجعله لوجهه خالصا، وينفع به مؤلفه، وقارئه، وكاتبه في الدنيا والآخرة، إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل" أ.هـ.

(١٠)

اعتذار للإمام عبد الله بن مسلم الدينوري المشهور بابن قتيبة ت٢٧٦هـ

قال ــ رحمه الله ــ كما في إصلاح غلط أبي عبيد (٤٦ ط دار الغرب):

"وقد يظن من لا يعلم من الناس ولا يضع الأمور مواضعها، أن هذا اغتياب للعلماء ــ وهو إصلاح غلـط أبي عبيـد ــ وطعـن للسلف، وذكر للموتى. وكان يقال: "اعف عن ذي قبر" ولـيس ذلك كما ظنوا، لأن الغيبة: سب الناس بلئيم الأخلاق وذكـرهم بالفواحش والشائنات، وهذا هو الأمر العظيم المشبه بأكل لحـوم الميتة، فأما هفوة في حرف أو زلة في معنى، أو وهم ونسيان، فمعاذ الله أن يكون هذا في ذلك الباب، أو أن يكون لـه مُشـاكِلا، أو مُقاربا، أو يكون المنبه عليه آثما، بل يكون مأجورا عند الله مشكورا

عند عباده الصالحين، الذين لا يميل بهم هوى، ولا تدخلهم عصبية، ولا يجمعهم على الباطل تحزب، ولا يلفتهم عن استبانة الحق حسد.

وقد كنا زمانا نعتذر من الجهل، فقد صـــرنا الآن نحتـــاج إلى الاعتذار من العلم، وكنا نؤمل شكر الناس بالتنبيه والدلالة، فصرنا نرضى بالسلامة، وليس هذا بعجيب مع انقلاب الأحوال، ولا ينكر مع تغير الزمان وفي الله خلف وهو المستعان.

ونذكر الأحاديث التي خالفنا الشيخ أبا عبيد ـــ رحمـــه الله ـــ في تفسيرها على قلتها في جنب صوابه، وشكرنا ما نفعنا الله مـــن علمه، معتمدين في ذلك بأمرين:

أحدهما: ما أوجبه الله تعالى على من علم في علمه.

والآخر: أن لا يقف الناظر في كتابنا على حرف خالفناه فيه، فيقضي علينا بالغلط.

ونحن في ذلك إن شاء الله سالمون. وما أولاك رحمك الله بتدبر ما نقول، فإن كان حقا وكنت لله مريدا أن تتلقاه بقلب سليم، وإن كان باطلا أو كان فيه شيء ذهب عنا، أن تردنا عنه بالاحتجـــاج والبرهان.

فإن ذلك أبلـــغ في النصـــرة، وأوجـــب للعـــذر، وأشـــفى للقلب". أهـــ.

(١١)

اعتذار الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ت٧٩٠هـ

قال ـ رحمه الله ـ كما في الموافقات (١/١٣ – تحقيق مشهور):

"فحق على الناظر المتأمل، إذا وجد فيه نقصا أن يُكمل، وليحسن الظن بمن حالف الليالي والأيام، واستبدل التعب بالراحة والسهر بالمنام، حتى أهدى إليه نتيجة عمره، ووهب له يتيمة دهره، فقد ألقى إليه مقاليد ما لديه، وطوقه طوق الأمانة التي في يديه، وخرج في عهدة البيان فيما وجب عليه و "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".اهـ.

(١٢)

اعتذار الإمام الحافظ بن رجب الحنبلي ت٧٩٥هـ

قال ـ رحمه الله ـ كما في كتابه "القواعد" (ص٢، ط الكليات الأزهرية ١٣٩٢هـ):

"فهذه قواعد مهمة، وفوائد جمة ـ إلى أن قال ـ : فليمعن الناظر فيه النظر، وليوسع العذر إن اللبيب من عذر، فلقد سنح بالبال على غاية من الإعجال، كالارتجال أو قريبا من الارتجال في

أيام يسيرة وليال، والله المسؤول أن يوفقنا لصواب القول والعمل، وأن يرزقنا اجتناب الزيغ والزلل، إنه قريب مجيب لمن سأله، ولا يخيب من إياه رجا، وعليه توكل".اهـ.

(١٣)

اعتذار للإمام ابن القيم الجوزية ت٧٥١هـ

قال ــ رحمه الله ــ كما في مدارج السالكين (٣/٥٢٢ ط أولى):

"فيا أيها القارئ له، لك غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، لك ثمرته وعليه تبعته. فما وجدت فيه من صواب وحق فاقبله، ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال! لا إلى من قال.

وقد ذم الله تعالى من يرد الحق إذا جاء به من يبغضه، ويقبله إذا جاء به من يحبه، فهذا خلق الأمة الغضبية، قال بعض الصحابة: (اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضا، ورد الباطل على من قاله وإن كان حبيبا).

وما وجدت فيه من خطأ: فإن قائله لم يأل جهد الإصابة ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال.

كما قيل:

والنقص في أصل الطبيعة كامن

فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد

وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوما جهولا؟!

ولكن من عدت غلطاته أقرب إلى الصـــواب ممـــن عـــدت أصابته".اهـــ

(١٤)

اعتذار الإمام محمد بن أحمد المنهاجي الأسيوطي

قال ـــ رحمه الله ـــ كما في جواهر العقود ومعـــين القضـــاة والموقعين والشهود (٦٠٠١٢ ط ١٣٧٤هـــ):

"وأنا أناشد الله تعالى، من وقف عليه من حبر بليغ القلم منيره، أو بحر اللسان غواصه، والكلام جوهره: أن يعاملني عند الوقـــوف عليه بإغضائه وصفحه، وأن يسدد ما يقع عليه طرف تأمله وانتقاده من الخلل، كاشفا ظلام عيني بإسفار صبحه، وتمحـــيص نصـــحه، حاملا كل قول يستغربه، أو يستهجنه على أحسنه، رادا كل لفظة فظة إلى أوضح معنى وأبينه.

فأي جواد لا يكبو؟

وأي سيف لا ينبو؟

ومن ذا الـــذي ترضـــى ســـجاياه كلـــها
كفـــى المـــرء فضـــلا أن تعـــد معايبـــه

والخلق يتفاضلون في العلم والإدراك. والعاقل يحتاج إلى منبـــه يحذره مدارك التعقب والاستدراك.

وقصارى مؤلفه الفقير الحقير: الاعتراف بما لديه مـــن العجـــز والتقصير، وأن خطوه في سلوك هذا المرتقى الوعر قصـــير، وهـــو

يستغفر الله مما طغى به القلم. وحاول إدراك شأو المتقــدمين فيــه فلم".اهـــ.

(١٥)

اعتذار الإمام عبد القادر بن محمد الأنصار الجزيري

قال ــ رحمه الله ــ كما في درر الفوائــد النظمــة (ص٢، ٧٠٧ ط ١٣٨٤ السلفية):

"يـــا نـــاظرا فيمـــا عنيـــت بجمعـــه
عـــذرا فـــإن أخـــا الفضـــيلة يعـــذر
علمـــا بـــأن المـــرء لـــو بلـــغ المـــدى
في العمـــر لاقـــى المـــوت وهـــو مقصـــر
فـــإذا ظفـــرت بزلـــة فـــافتح لهـــا
بـــاب التجـــاوز فالتجـــاوز أجـــدر

سائلا من حسن خيمه، وسلم من داء الحسد أديمه، أن يسبل ذيل ستره على هذا المرقوم، وأن يصلح ما عساه أن يجده من الخطأ في المنطوق والمفهوم، فقد قدمنا الاعتذار عن أبناء الطبيعة، وقل أن يسلم مؤلف عن خطأ وخلل ولو كان في علـوم الشـريعة، والله المسئول والمأمول أن يختم لنا بالحسنى، ويجعلنا من الفائزين بعفـوه المغمورين برحمته، المقربين من دار كرامته بالمحل الأسنى، إنــه هــو الجواد الكريم والرءوف الرحيم" أ.هـــ.

(١٦)

اعتذار الإمام ياقوت الحموي الرومي ت٦٢٦هـ

قال ــ رحمه الله ــ كما في: إرشاد الأريب في معرفة الأديب، أو: إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء (١/١١ ط دار الغرب):

"وعلى أنني معترف بقول يحيى بن خالد: لا يزال الرجل في فسحة من عقله ما لم يقل شعرا أو يصنف كتابا.

وقد كتب جعفر بن يحيى إلى بعض عماله، وقد وقف على سهو في الكتاب ورد منه: (اتخذ كاتبا متصفحا لكتبك، فإن المؤلف للكتاب تنازعه أمور، وتعتوره صروف، تشغل قلبه وتشعب فكره، من كلام ينسقه، وتأليف ينظمه، ومعنى يتعلق بشرحه، وحجة يوضحها، والمتصفح للكتاب أبصر بمواضيع الخلل من مبتدى تأليفه).

وأنا فقد اعترفت بقصوري فيما اعتمدت عن الغاية، وتقصيري عن الانتهاء إلى النهاية، فاسأل الناظر فيه، أن لا يعتمد العنت، ولا يقصد قصد من إذا رأى حسنا ستره، وعيبا أظهره. ويتأمله بعين الانصاف لا الانحراف، فمن طلب عيبا وجد وجد، ومن افتقد زلل أخيه بعين الرضا فقد فقد.

فرحم الله امرءا قهر هواه، وأطاع الإنصاف ونواه، وعذرنا في خطأ إن كان منا، وزلل إن صدر عنا، فالكمال مُحال لغير ذي

الجلال، فالمرء غير معصوم، والنسيان في الإنسان غير معـــدوم. وإن عجز عن الاعتذار عنا والتصويب، فقد علم أن كل مجتهد مصيب، فإنا وإن أخطأنا في مواضع يسيرة، فقد أصبنا في مواطن كثيرة. فما علمنا فيمن تقدمنا من العلماء، وأمنا من الأئمة القدماء أحـــدا إلا وقد نظم في سلك أهل الزلل، وأخذ عليه شيء من الخطل، وهُـــمْ هُمُ!!

فكيف بنا مع قصورنا واقتصارنا، وصرف جل زماننا في همة الدنيا وطلب المعاش، وتنميق الرياش، الذي مزادنـــا منـــه صـــيانة العرض، وبقاء ماء الوجه لدى العرض". أ.هـــ.

(١٧)

اعتذار الإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان ت ٦٨١هـــ

قال ـــ رحمه الله ـــ كما في وفيات الأعيـــان (١٢/١ ط دار المصادر):

"فمن وقف عليه من أهل الدراية بهذا الشأن، ورأى فيه خلـــلا فهو المثاب في إصلاحه بعد التثبت فيه، فإني بذلت الجهد في التقاطه من مظانِّ الصحة، و لم أتساهل في نقله ممن لا يوثق به، بل تحريـــت فيه حسبما وصلت القدرة إليه، وكان ترتيبي له في شهور سنة أربع وخمسين وستمائة بالقاهرة المحروسة مع شواغل عائقة، وأحوال عن مثل هذا متضايقة، فليعذر الواقف عليه، وليعلم أن الحاجة المذكورة ألجأت إليه، لا أن النفس تحدثها الأماني من الانتظـــام في ســـلك

المؤلفين بالمحال، ففي أمثالهم السائرة "لكل عمل رجال".

ومن أين لي ذلك والبضاعة في هذا العلم قدر منزور، والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور.

حرسنا الله تعالى من التردي في مهاوي الغواية، وجعل لنا من العرفان بأقدارنا أمنع وقاية، بمنه وكرمه، آمين". أ.هـ.

(١٨)

اعتذار الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ

قال ـ رحمه الله ـ كما في الموضح لأوهام الجمع والتفريق (١/٥ ط ١٤٠٥هـ):

"ولعل بعض من ينظر فيما سطرناه، ويقف على ما لكتابنا هذا ضمناه يلحق سيء الظن بنا ويرى أنا عمدنا للطعن على من تقدمنا، وإظهار العيب لكبراء شيوخنا وعلماء سلفنا، وأنى يكون ذلك، وبهم ذكرنا، وبشعاع ضيائهم تبصرنا، وباقتفاء رسومهم تميزنا، وبسلوك سبيلهم عن الهمج تحيزنا،

وما مثلهم ومثلنا إلا ما ذكر أبو عمرو بن العلاء ـ وذكر إسناده ـ عن الأصمعي قال: قال أبو عمرو بن العلاء: ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال" أ.هـ.

(١٩)
اعتذار الإمام محمد طاهر الصديقي الهندي الفتني ت٩٨٦هـ

قال ــ رحمه الله ــ كما في مجمع بحــار الأنــوار (١/٣ ط الهندية ١٣٨٧هـ):

"والمسؤول من إخوان الصفاء، من ناظري الكتاب أهل الوفاء، أن يصلح لله ما طغى به القلم، أو زلت فيه القدم، فإن ذلك ديدني لفقد من أراجعه من الأئمة الأعلام في هذه البلدان، وضعف قــوتي لتعسر الاستمداد من الأخلة والإخوان، وتعــذر الاســتفادة مــن الأساتذة ذوي الإيقان، وقلة حيلتي لفقد الكتب المصححة المعروضة على الأئمة ذوي الإتقان، وهو أني على النسا الساعين بالفســاد، والباغين العنت للبراء بالعناد، والمكدرين للأذهان بســل ســيف العدوان على الأعزة والإخوان، المنكدين للأفهام بإكثــار الهمــوم والأحزان، مع أن الإنسان مركب من النسيان، ولضــيق أوقــاتي بمذاكرة الملازمين من الإخوان، فلم تتسع للمراجعة فيما ســودت والتدبر فيما رتبت في ثاني الأوان،، و لم أبال بما يفوت من حســن ثناء الأكياس إذا ترتب عليه ما يجب فيه صرف جواهر الأنفاس، من استفاد طلاب الصدق من أهل الوداد، وادخار الزاد يوم الافتقار في المعاد، وأن يعذرني بجنب ما عانيت وكدي وكدي، في تقريب مــا تبعد، وتيسير ما تعسر، وجمع ما تشتت، وحذف ما تكرر، وتقليل ما تكثر، فلقد أغناك بالإسفار عن الأسفار، وكفاك بعــد أقطــار

وأوراق عن البحار والأسفار، والله الموفــق للصــواب والســداد، والميسر للرشاد" أ.هـ.

(٢٠)

اعتذار الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ت١١٧٦هـ

قال ــ رحمه الله ــ كما في الحجة البالغة (١/٤٤):

"وها أنا بريء من كل مقالة صدرت مخالفة لآية من كتــاب الله، أو سنة قائمة عن رسول الله ﷺ ، أو إجماع القرون المشــهود لهم بالخير، أو ما اختاره جمهور المجتهدين ومعظم سواد المســلمين، فإن وقع شيء من ذلك فإنه خطأ، رحم الله تعالى من أيقظنا مــن سنتنا، أو نبهنا من غفلتنا" أ.هـ.

(٢١)

اعتذار الإمام صديق حسن خان القنوجي ت١٣٠٧هـ

قال ــ رحمه الله ــ كما في إكليل الكرامة (ص٩):

"فإن كنت أحسنت فيما جمعت، وأصبت في الذي صــنعت ووضعت، فذلك عميم من الله وجزيل فضله علي، وعظيم أنعمــه وجليل طوله، وكريم إحسانه إلي، وإن أسأت فيما فعلت وأخطأت إذ وضعت فما أجدر الإنسان بالإساءة والعيوب، إذا لم يعصمــه علام الغيوب" أ.هـ.

(٢٢)

اعتذار الإمام إبراهيم بن عبد الله الفرضي

قال ــ رحمه الله ــ كمـا في العـذب الفـائض (١/ ٤ ط ١٣٧٢هـ الحلبية):

"وأسأل من وصل كتابي هذا إليه، ووقف بنظره السديد عليه، إذا عثر على شيء مما طغى به القلم، أو زلت به القدم، أن يحصله ويدرأ بالحسنة السيئة، ويخطر في قلبه أن الإنسان محل النسيان، وأن الصفح عن عثران الضعاف من شيم الأشـراف، وأن الحسـنات يذهبن السيئات، فإني بالعجز معترف، وبالخطأ والتقصير متصـف، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسـبي ونعـم الوكيل" أ.هـ.

(٢٣)

اعتذار الإمام إدريس بن بيدكين التركماني الحنفي

قال ــ رحمه الله ــ كما في كتابه اللمع في الحوادث والبدع (١/١، ٢):

"بعد كلام له تقدم: غفر الله لقارئه، ولمن نظر فيه، وللسامعين ولمن سد خللا وجد فيه إن اطلع، وكشط شيئا قاله المؤلف فخرج بقوله عن الكتاب والسنة ووقع، لأن المؤلف قليل العلـم، كـثير الجهل، غافل عن أهوال يوم المطلع، فرحم الله من دعى له بحسـن الخاتمة، وأن يجعله ممن أطاع ربه، وذل لعزته وعظمته، وخضع.

يـــا نـــاظرا في كتـــابي حـــين تقـــرؤه
عـــدل هـــديت بـــلا حيـــف ولا شـــطط
إن مـــر ســـهو فـــلا تعجـــل بســـبك لي
واعذر فلست بمعصوم عن الغلـــط" أ.هـــــ.

(٢٤)

اعتذار الإمام أبي العباس أحمد بن علي بن القلقشندي ت٨٢١هـــ

قال ـــ رحمه الله ـــ كمـــا في صـــبح الأعشـــى (١/١٠ ط ١٤٠٥هـــ):

"وليعذر الواقف عليه، نتائج الأفكار التي على اختلاف القرائح لا تتناهى، وإنما ينفق كل أحد على قدر سعته لا يكلف الله نفسـا إلا ما آتاها، ورحم الله من وقف فيه على سهو أو خطأ فأصـلحه عاذرا لا عاذلا، ومنيلا لا نائلا، فليس المبرأ من الخطل، إلا من وقي الله وعصم. وقد قيل: الكتاب كالمكلف لا يسلم من المؤاخذة، ولا يرتفع عنه القلم.

والله تعالى يقرنه بالتوفيق، ويرشد فيه إلى أوضح طريق، ومـا توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب". أ.هـــ.

(٢٥)

اعتذار الإمام أحمد بن عبد الوهاب النويري ت٧٣٣هـ

قال ـــ رحمه الله ـــ كما في نهاية الأرب (١/٢٥ ط مصورة عن ط دار الكتب دون تاريخ):

بعد كلام له سابق:

"وأتيت فيه بالمقصود والغرض، وأثبت الجوهر ونفيت العرض، وطوقته بقلائد من مقولي، ورصعته بفرائد من منقولي، فكلامي فيه كالسارية تلتها السحائب، أو السرية ردفتها الكتائب، فما هـو إلا مترجم عن فنونه، وحاجب لعيونه.

وما أوردت فيه إلا ما غلب على ظني أن النفوس تميل إليه، وأن الخواطر تشتمل عليه، ولو علمت أن فيه خطأ لقبضت بناني، وغضضت طرفي، ولو خبرت طريق المعترض لعطفت عناني لكني تبعت فيه آثار الفضلاء قبلي، وسلكت منهجهم فوصلت بحبالهم حبلي. فإن يكن اعتراض فعلى عُلاهم لا علي العار.

وقد علمت أنه من صنف كتابا فقد استهدف، وأصم الأسماع وإن كان لبعضها قد شنف.

وخليق للواقف عليه أن يسد ما يجد به من خلل، وأن يغفر ما يلمح فيه من زلل، فأسبل عليه ستر معروفك الذي سترت به قدما على عواري، والذي أدى إليه اجتهادي من تأليفه فقد أصدرته، والذي وقفت عنده غايتي فقد أوردته. قد تبلغت فيه وسعي، لكن

ليس من عثرة الكتاب أمان، وبالله سبحانه المستعان، وعليه أتوكل، وإليه أتضرع في التيسير وأتوسل، ومن فضله استمد الصواب، وباسمه استفتح الكتاب" أ.هـ.

(٢٦)

اعتذار الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت٨١٧هـ

قال ــ رحمه الله ــ كما في القاموس المحيط والقابوس الوسيط فيما ذهب من لغة العرب شماطيط (ص٤٠ ط مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ):

"وكتابي هذا بحمد الله تعالى، صريح ألفي مصنف من الكتب الفاخرة وسنيح ألفي قَلَمَّسٍ من العيالم الزاخرة.

والله أسأل أن يثيبني به جميل الذكر في الدنيا، وجزيل الأجر في الآخرة.

ضارعا إلى من ينظر من عالم في عملي، أن يستر عثاري وزللي، ويسد بسداد فضله خللي، ويصلح ما طغى به القلم، وزاغ عنه البصر، وقصر عنه الفهم، وغفل عنه الخاطر، فالإنسان محل النسيان وإن أولَ ناسٍ أولُ الناسِ، وعلى الله تعالى التكلان" أ.هـ.

(٢٧)

اعتذار الإمام محمد بن إبراهيم الوزير ت٨٤٠هـ

قال ــ رحمه الله ــ كما في العواصم والقواصم (١/٢٢٣ ط الرسالة ١٤١٢هـ):

"وقد قصدت وجه الله تعالى في الذبِّ عن السنة النبوية، وليس يضرني وقوف أهل المعرفة على مالي من التقصير، ومعرفتهم أن باعي في هذا الميدان قصير، لاعترافي أني لست من نقاد هذا الشأن، وإقراري أني لست من فرسان هذا الميدان، لكني لم أجد من الأصحاب من يتصدى لجواب هذه الرسالة، لما يجر إليه ذلك من القالة، فتصديت لذلك في غير إحسان ولا إعجاب، ومن عدم الماء يتمم التراب!.

عالما بأني لو كنت باري قوسها ونبالها، وعنترة فوارسها ونزالها، فلا يخلو كلامي من الخطأ عند الانتقاد، ولا يصفو جوابي من الغلط عند النقاد. فالكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو كلام الله في كتابه العزيز الكريم، وكلام من شهد بعصمته الذكر الحكيم،

وكل كلام بعد ذلك، فله خطأ وصواب، وقشر ولباب، ولو أن العلماء ــ رضي الله عنهم ــ تركوا الذب عن الحق، خوفا من كلام الخلق، لكانوا قد أضاعوا كثيرا، وخافوا حقيرا!!

ومن قصد وجه الله ــ تعالى ــ في عمل من أعمال البر

والتقى، لم يحسن منه أن يتركه، لما يجوز عليه في ذلك من الخطـأ، ،أقصى ما يخاف أن يكل حسامه في معترك المناظرة، وينبو، ويعثـر جواده في مجال المجادلة ويكبو، فالأمر في ذلك قريب.

إن أخطأ، فمن الذي عصم؟!،

وإن خطئ فمن الذي ما وصم؟!

والقاصد لوجه الله، لا يخاف أن ينقد عليه خلل في كلامه، ولا يهاب أن يدل على بطلان قوله، بل يحب الحق من حيـث أتـاه، ويقبل الهدى ممن أهداه، بل المخاشنة بالحق والنصيحة، أحب إليـه من المداهنة على الأقوال القبيحة، وصديقك من أَصْـدَقَك لا مـن صَدَّقَكَ!،

وفي نوابغ الكلم، وبدائع الحكم: عليك بمن ينـذر الإبسـال والإبلاس، وإياك ومن يقول: لا باس ولا تاس. فإن وقـف علـى كلامي ذكي لا يستقويه، أو جاف منه ويستزريه، فالأولى بالذكي أن يخفض لي جناح الذل من الرحمة، ويشكر الله على أن فضله علي بالحكمة، وأما الآخر الزَّاري، وزند الجهالة الواري، فإن العـلاج لترقيق طبعه الجامد، هو الضرب في الحديد البارد،

ولذلك أمر الله بالإعراض عن الجاهلين، ومـدح بـه عبـاده الصالحين" أ.هـ.

وله اعتذار آخر بنحو من هذا في مقدمة كتابة (الروض الباسم) (ص١٠ – ١٢).

(٢٨)

اعتذار الإمام بن قتيبة الدينوري ت٢٧٦هـ

قال ــ رحمه الله ــ كما في عيون الأخبـــار (١/٥٢ ط دار الكتب العلمية):

"فهذه أبواب الكتب جمعتها لك، في صدر أولها، لأعفيك من كد الطلب، وتعب التصفح، وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعتها، ولتقصد فيما تريد حـــين تريـــد إلى موضـــعه فتستخرجه بعينه، أو ما ينوب عنه ويكفيك منه، ــ إلى أن قال ــ :

وقد خففت وإن كنت أكثرت، واختصرت وإن كنت أطلت، وتوقيت في هذه النوادر والمضاحك ما يتوقاه من رضي من الغنيمة بالسلامة، ومن بُعد الشقة بالإياب، و لم أجد بدا من مقـــدار مـــا أودعته الكتاب منها لتتم به الأبواب.

ونحن نسأل الله أن يمحو ببعض بعضا، ويغفر بخير شرا، وبجـــد هزلا، ثم يعود علينا بعد ذلك بفضله، ويتغمدنا بعفوه، ويعيذنا بعد طول الأمل فيه، وحسن الظن به، والرجـــاء لـــه، مـــن الخيبـــة والحرمان".اهـــ.

(٢٩)

اعتذار الإمام محمد بن محمد الحسني المشهور بالإمام الزبيدي

قال ـــ رحمه الله ـــ كما في إتحاف السادة المــتقين (١/٣ ط بولاق):

"وأنا مع وضعي هذا الكتاب، ما أبري نفسي ولا كتابي مـــن خلل وريب، ولا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب، بـــل أعتـــرف بكمال القصور، وأسأل الله الصفح عما جرى بـــه القلـــم بهـــذه السطور، وأقول لناظر جمعي هذا: لا تأخذن في نفسك علي شـــيئا وجدته مغايرا للفهم فإن الفهوم قد تختلف، ومـــن صـــنف فقـــد استهدف، واعتذر لك أيها المنصف من خطأ أو زلة، فالجواد قـــد يكبو، والفتى قد يصبو، ولا يعد إلا فضولات العـــارف، وتـــدخل الزيوف على أعلى الصيارف، ولا يخفى عليك، أن التعقب علـــى الكتب سيما الطويلة سهل بالنسبة إلى تأليفها، ووضعها وترصيفها، كما يشاهد في الأبنية القديمة، والهياكل العظيمة، حيث يعترض على بانيها من عري في فنه عن القوى والقدر، بحيث لا يقدر على وضع حجر على حجر، هذا جوابي عما يرد على كتابي.

وقد كتب أستاذ البلغاء القاضي الفاضل، عبد الرحيم البيساني، إلى العماد الكاتب الأصبهاني، معتذرا عن كلام استدركه عليه، أنه وقع لي شيء ولا أدري أوقع لك أم لا؟! وها أنا أخبرك وذلك أني رأيت: أنه لا يكتب إنسان كتاب في يومه إلا قال في غده: لو غير

هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل.

وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص في جملة البشر.

فأرجو مسامحة ناظريه فهم أهلوها، وأؤمل جميلهم فهم أحسن الناس وجوها". أ.هـ.

تنبيه:

يقع بعض الكتاب في وهم حيث ينسبون الكلمة التي كتبها شيخ صناعة الكتابة في عصره، إمام أهل الترسل: البيساني المتوفى (٥٩٦هـ) ــ وقد مرت آنفا ــ إلى العماد الأصفهاني. والذي دعاهم لذلك أن الأستاذ أحمد فريد الرفاعي المتوفى (١٣٧٦هـ) وضعها أول كل جزء من أجزاء "معجم الأدباء" لياقوت الحموي، وتداولها الناس بناء على ذلك، والصواب ما تقدم.

(٣٠)

اعتذار الإمام محمد أمين بن فضل الله بن حب الله بن محب الدين الحموي الشهير بــ المحبي

(١٠٦٠ – ١١١١هـ)

قال ــ رحمه الله ــ كما في خلاصة الأثر (١/٤ ــ مصور عن الطبعة الأولى):

"وما أقدمني على هذا الشأن، إلا تخلف أبناء الزمان، عن إحراز

حصل الفضل في هذا الميدان.

لعمــــر أبيـــك مــــا نســـب المعلـــى
إلى كـــــرم وفي الـــــدنيا كـــــريم
ولكـــــن الـــــبلاد إذا اقشـــــعرت
وصـــــوَّح نبتـــــها رُعـــــيَ الهشـــــيم

فأنا ذلك الهشيم، الذي سد مسد الكريم، كيف وقد نجمَ نجـــمُ الجهل، وصوح نبت بيت الفضل، وصدئت القلـــوب، وضـــعف الطالب والمطلوب، وربما يظن أن ما تخالج في صـــدري وهجـــس، لرعونة أوجبها الفراغ والهوس، كلا، بل ذلك لأمـــر يستحســـنه اللبيب، ويحسن موقعه لدى كل أريب، لما فيه من بقاء ذكر أناس، شنفت مآثرهم الأسماع، وجمع أشتات فضائل حكم الدهر عليهـــا بالضياع، وليس غرضي إلا أداء حقهم المفترض، وأبرأ إلى الله مـــن تهمة الغرض، وإني وإن قصرت فما قصـــرت، وإن طولـــت فمـــا تطاولت، وغاية البليغ في هذا المضمار الخطير، أن يعترف بالقصور، ويلتزم بالتقصير، فإن المرء ولو بلغ جهده، فالإحاطة في هذا الشأن لله وحده".اهـــ.

(٣١)

اعتذار آخر للإمام محمد بن إبراهيم الوزير ت٨٤٠هـــ

قال ـــ رحمه الله ـــ كما في إيثار الحق على الخلق (ص٢٣ – ٣١٠ ط دار الكتب):

"واعلم أني بنيت هذا المختصر، على بيان الحق وتقريـــره، في

هذه الأمور السبعة وهي:

أولها: إثبات العلوم الضرورية التي يبتنى الإسلام على ثبوتها.

وثانيها: ثبوت الرب عز وجل.

وثالثها: توحيده سبحانه وتعالى.

ورابعها: كماله بأسمائه الحسنى.

وخامسها: ثبوت النبوات وصحتها في الجملة.

وسادسها: الإيمان بجميعهم وعدم التفريق بينهم.

وسابعها: ترك الابتداع في دينهم بالزيادة على ما جاءوا به، والنقص منه.

وما زاد على ذلك من مواهب الله وعوارفه ومعارفه، وبدائع لطائفه، فليس بمقصود لي الكلام عليه، ولا أعتب على من خالفني في شيء منه، ولا يعاب التقصير فيه.

فإن التطويل في الأمور العارضة يخرج عن المقصود كما هو معروف.

ــ ثم قال ــ : ثم اعلم أن هذا المختصر لا يصلح إلا لمن وضع له، كما أن الدواء الخاص بألم خاص لا يصلح لكل ألم، فمن كان يحتاج البسط وهو له أهل لكمال معرفته وذكائه، فإنه يستضر بالاختصار، ولا يشفيه إلا الحوافل الكبار، من مصنفات المصنفين من أذكياء النظّار، وقد يكون في هذا المختصر الإشارة إلى تلك الكتب الحافلة والتنبيه عليها لمن يحتاج إلى ذلك، والدال على الخير

كفاعله، ولكن: لكل مقام مقال، ولكل مجال رجـــال، والكتـــب البسيطة في علم اللطيف لا تصلح لمن يخاف عليه من الشبه، كما أن السباحة في لجج البحار لا تصلح إلا لأهل الرياضة التامة في ذلـــك بعد طول التجارب.

وأرجو ـــ إن شاء الله تعالى ـــ أن لا يخلو هذا المختصر مـــن أحد المعاني الثمانية، التي تصنف لها العلماء، بل من كل واحد منها وهي:

- اختراع معدوم.
- أو جمع متفرق.
- أو تكميل ناقص.
- أو تفصيل مجمل.
- أو تهذيب مطول.
- أو ترتيب مخلط.
- أو تعيين مبهم.
- أو تبيين خطأ.

كذا عدها أبو حيان وتمكن الزيادة فيها.

وإنما جمعت هذا المختصر المبارك ـــ إن شاء الله تعالى ـــ لمـــن صنفت لهم التصانيف، وعنيت بهدايتهم العلماء وهم من جمع خمسة أوصاف معظمها:

الإخلاص،

والفهم،

والإنصاف.

ورابعها ـــ وهو أقلها وجودا في هذه الأعصار ـــ الحرص على معرفة الحق من أقوال المختلفين، وشدة الداعي إلى ذلك والحامل عليه: الصبر والطلب كثيرا، وبذل الجهد في النظر على الإنصاف، ومفارقة العوائد وطلب الفوائد،

فإن الحق في هذه الأعصار قلما يعرفه إلا واحد بعد واحد، وإذا عظم المطلوب قل الساعد....

واعلم أني رأيت المصنفين في علم العقيدة الدينية قد سلكوا سلك سبيل مصنفي كتب المذاهب، التي ينتصر فيها المصنف لمذهب واحد في القوي والضعيف، والدقيق والجلي و لم يسلك أحد منهم مسلك مصنفي كتب الإسلام، التي تذكر فيها مذاهب أهل الملة الإسلامية، ويقوي فيها ما قوته الدلائل البرهانية، سواء كان لقريب أو بعيد، أو صديق أو بغيض، وكتب العقائد أحق بسلوك هذا المسلك من كتب الفروع، فأما كون الحق فيها مع واحد فصيح، ولكن لا يستلزم أن يكون الصواب في جميع المواضع المتفرقة قد اجتمع لبعض الفرق ..... وقد قصدت إحياء هذه السنة الميتة التي هي: ترك العصبية ولذلك سميته (إيثار الحق على الخلق).

جعله الله اسما موافقا لمسماه، ولفظا مطابقا لمعناه، وجدير أن يكون فيه ما يستدرك، فإن كل أسلوب ابتدئ لا يكمل إلا بمعاونة

جماعة وتتابعهم عليه، وتكميل المتأخر لما أهل المتقدم.

ولذلك: كانت أوائل كل علم وأسلوب، قليلة أو ناقصة، فليبسط العذر الواقف على ما يستدرك فيه، لما كان أسلوبا غريبا بالنسبة إلى هذه الأزمنة المتأخرة" أ.هـ. مختصرا.

ولهذا الإمام ترجمة عظيمة للغاية في البدر الطالع (٢/٨١ — ٩٣).

ومن طالع العواصم والقواصم / له ــ خضع لعلمه، وسلم بإمامته ــ رحمه الله ــ.

(٣٢)

اعتذار الإمام عز الدين علي بن محمد بن الشيباني المعروف بابن الأثير

قال ــ رحمه الله ــ كما في الكامل في التاريخ (١/٤ ط ١٣٨٥هـ ــ بيروت ــ صادر):

"ثم إن نفرا من إخواني، وذوي المعارف والفضل من خلاني، ممن أرى محادثتهم نهاية أوطاري، وأعدهم من أماثل مجالسي وسُمَّاري، رغبوا إلي في أن يسمعوه مني ليرووه عني، فاعتذرت بالإعراض عنه، وعدم الفراغ منه ــ إلى أن قال ــ وهم للطلب ملازمون، وعن الإعراض معرضون، وشرعوا في سماعه قبل إتمامه وإصلاحه، وإثبات ما تمس الحاجة إليه وحذف ما لابد من إطراحه، والعزم على إتمامه فاتر، والعجز ظاهر للاشتغال بما لابد منه، لعدم المعين والمظاهر، وهموم توالت، ونوائب تتابعت، فأنا ملازم الإهمال

والتواني.

فلا أقول: إني لأسير إليه سير الشواني (المركب المعد للجهاد في البحر) فبينما الأمر كذلك: إذ برز أمر من طاعته فرض واجب، واتباع أمره حكم لازب ـــ ثم قال ـــ فحينئذ ألقيت عني جلباب المهل، وأبطلت رداء الكسل، وألقيت الدواة!، وأصلحت القلم.

وقلت: هذا أوان الشد فاشتدي زيم، وجعلت الفراغ أهم مطلب، وإذا أراد الله أمرا هيأ له السبب، وشرعت في إتمامه مسبقا،

ومن العجب أن السكيت يروم أن يجيء سابقا، ونصبت نفسي غرضا للسهام، وجعلتها مظنة لأقوال اللوام، لأن المآخذ إذا كانت تتطرق إلى التصنيف المهذب والاستدراكات تتعلق بالمجموع المرتب، الذي تكررت مطالعته وتنقيحه، وأجيد تأليفه وتصحيحه، فهي بغيره أولى، وبه أحرى.

علي أني مقر بالتقصير، فلا أقول: إن الغلط سهو جرى به القلم بل أعترف بأن ما أجهل أكثر مما أعلم" أ.هـ.

(٣٣)

اعتذار آخر للإمام الزبيدي

قال ـــ رحمه الله ـــ كما في تاج العروس (١/٥١ ط ١٤١٤ دار الفكر):

".... وأنا مع ذلك لا أدعي فيه دعوى فأقول: شافهت، أو سمعت، أو شددت، أو رحلت، أو أخطأ فلان أو أصاب، أو غلط

القائل في الخطاب، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها شيخنا لقائل مقالا، ولم يخل فيها لأحد مجالا، فإنه عني في شرحه عمن روى، وبرهن عما حوى، ويسر في خطبه فادعى، ولعمري لقد جمع فأوعى، وأتى بالمقاصد ووفى.

وليس لي في هذا الشرح فضيلة أَمُتُّ بها، ولا وسيلة أتمسك بها، سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من منطوق ومفهوم، وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير وطالب العلم منهوم، فمن وقف فيه على صواب أو زلل، أو صحة أو خلل، فعهدته على المصنف الأول، وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعول، لأني عن كل كتاب نقلت مضمونه، فلم أبدل فيه شيئا فيقال: ﴿**فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ**﴾ البقرة ١٨١.

بل أديت الأمانة في شرح العبارة بالفصِّ، وأوردت ما زدت على المصنف بالنص، وراعيت مناسبات ما ضمنه من لطف الإشارة، فليعد من ينقل عن شرحي هذا عن تلك الأصول والفروع، وليستغن بالاستضواء بُدِّرِيِّ بيانه الملموع، فالناقل عنه يمد باعه ويطلق لسانه، ويتنوع في نقله عنه لأنه ينقل عن خزانة، والله تعالى يشكر من له بإلهام جمعه من منه، ويجعل بينه وبين محرفي كلمه عن مواضعة واقبة وجنة، وهو المسئول أن يعاملني فيه بفضله وإحسانه، ويعني على إتمامه بكرمه وامتنانه، فإني لم أقصد سوى حفظ هذه اللغة الشريفة، إذ عليها مدار الكتاب العزيز والسنة النبوية، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما يوافق فيه النية واللسان، ويخالف فيه اللسان النية.

وقد جمعته في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح عليه السلام الفلك وقومه منه يسخرون، وسميته: (تاج العروس من جواهر القاموس).

وكأني بالعالم المنصف قد اطلع عليه فارتضاه، وأجال فيه نظرة ذي علق فاجتباه، ولم يلتفت إلى حدوث عهده وقرب ميلاده لأنه إنما يستجاد الشيء ويسترذل لجودته ورداءته في ذاته، لا لقدمه وحدوثه.

وبالجاهل المشط قد سمع به فسارع إلى تمزيق فروته وتوجيه المعاب إليه، ولما يعرف نبعه من غربه، ولا عجم عوده، ولا نفض تهائمه ونجوده.

والذي غره منه: أنه عمل محدث ولا عمل قديم، وحسبك أن الأشياء تنتقد أو تبهرج لأنها تليدة أو طارفة.

إذا رضيت عني كرام عشيرتي
فلا زال غضبانا علي لئامها

وأرجو من الله تعالى أن يرفع قدر هذا الشرح بمنه وفضله وأن ينفع به كما نفع بأصله، وأنا أبرأ إلى الله عز وجل من القوة والحول، وإياه أستغفر من الزلل في العمل والقول، لا إله غيره ولا خير إلا خيره، وصلى الله على سيدنا وآله وصحبه".اهـ

فهرس الموضوعات

